

لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَام

عناصر الموضوع

٢٤٠	التعريف بلوط عليه السلام
٢٤١	لوط مع إبراهيم عليهما السلام
٢٤٢	لوط عليه السلام مع قومه
٢٥٣	لوط عليه السلام مع زوجته
٢٥٤	لوط عليه السلام مع بناته
٢٥٥	لوط عليه السلام مع الملائكة
٢٦١	نجات لوط وبناته وهلاك امرأته
٢٦٣	صنوف العذاب التي حلت بقوم لوط
٢٦٨	فوائد وعبر من قصة لوط عليه السلام
٢٧٧	أحكام متعلقة بالقصة

التعريف بلوط عليه السلام

لوط عليه السلام نبي من الأنبياء، الذين بعثهم الله عز وجل لهداية الناس وإصلاحهم، ولقد عاش في زمن الخليل إبراهيم عليه السلام، وذهب كثير من أهل العلم إلى أن لوطا عليه السلام: ابن أخي إبراهيم عليه السلام آمن به وهاجر معه فكان غراسا طيبا لدعوة إبراهيم عليه السلام^(١).

قال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْثِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْفٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنبياء: ٧٤].

فبعد الحديث عن رعاية الله لنبيه إبراهيم عليه السلام ومنحه له جاء الحديث عن لوط عليه السلام وما وهبه الله من نعم وما حباه من رعاية، فقد آتاه آلة الحكم وهو الفصل بين الناس والتمييز بين الأمور والحكم عليها والعلم النافع الذي ينير لصاحبه ويرشده، فقد وهبه الله عقلا راجحا وفطرة نقية وبصيرة نافذة وميزانا قويما، وفي تنكير ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ مع التنوين تعظيم وتفخيم لهذه المنحة الربانية، فهو ثمرة طيبة لدعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ونتاج طيب لغرسه المبارك، ولا أدل على حكمته وعلمه من عيشه وسط أولئك الغوغاء الشذاذ ينهامهم ويزجرهم عن فسوقهم وتماجنهم ويعظمهم فلا يجد آذانا صاغية.

وقد جاء الحديث عن لوط في شجرة الأنبياء الواردة في سورة الأنعام تلك الشجرة المباركة التي تمتد إلى أرومة واحدة قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَذَكَرْنَا وَيْحَ عِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٍّ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٨﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ إِنَّا كُنَّا بِهَا مُبْتَلِينَ قَوْمًا لَا يَسُوءُ بَيِّنَاتٍ ﴿٩٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَقْتَدِهْ قُلْ لَا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام: ٨٤-٩٠].

فلقد هداهم الله واجتباهم وجعلهم ذرية طيبة بعضها من بعض، وآتاهم الكتاب والحكم والنبوّة، وجعلهم مصاييح هدى، تقتدي بها الإنسانية.

(١) انظر: الكشف، الزمخشري ١/٢٦، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١١/٣.

لوط مع إبراهيم عليهما السلام

يظل الأنبياء عليهم السلام على الفطرة النقية التي فطر الله الناس عليها، يحفظهم ربهم ويهديهم ويتعهدهم بالرعاية والتربية، فهذا لوط عليه السلام ينشأ في مجتمع يسوده الكفر ويعمه الضلال، لكن الله تعالى يعصمه ويحفظه، فينشأ على التوحيد، في كنف عمه إبراهيم عليه السلام، ويعاين الآية الكبرى حين ألقوا به عليه السلام في النار فنجاه الله تعالى وجعلها بردا وسلاما فيزداد إيمانا وتسليما .

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا لُوطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ [العنكبوت: ٢٦].

وقال تعالى في سياق الحديث عن إبراهيم: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٧١].

والآية الأولى تبين انقياده واستجابته لعمه عليه السلام، آمن له أي: انقاد واستجاب عن إيمان ويقين، كذلك تعني الآية أنه آمن بنبوته واستجاب لدعوته وصدق برسالته مع إيمانه الفطري بالله تعالى وحده لا شريك له، وفي الآية الثانية بيان لنعمة الله عليه إذ أنجاه إلى الأرض المباركة، كما آمن به فقد هاجر معه من العراق إلى أرض الشام المباركة، وهي بيت المقدس وما حوله، فهي بركة للعالمين بما فيها من كنوز وخيرات، وبما فيها من عيون وأنهار، وزروع وثمار، مع خصب تربتها، ونقاء هوائها، وطيب العيش فيها، وبما سطع فيها من أنوار النبوات، مباركة بمن عاش على ثراها ودفن في تربتها من الأنبياء والصالحين، مباركة بشعبها الحر الأبي الذي ضرب ولا يزال أروع الأمثلة في الصبر والثبات والتضحية والفداء، والتصدي والتحدي للطغاة المستبدين .

هاجر لوط عليه السلام مع عمه إبراهيم إلى الشام، وهى الأرض المباركة، وظل لوط في صحبة عمه إبراهيم - عليهما السلام - حتى استقر به المقام في قرية سدوم بالأردن، حيث أرسله الله إلى أهل هذه القرية^(١).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١١/٣، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٣/٢.

لوط عليه السلام مع قومه

أولاً: دعوته لقومه:

أرسل الله تعالى لوطا عليه السلام إلى قرية سدوم وما حولها، وقد راعه ما هم عليه من شذوذ وانحراف وجهالة وإسراف، فدعاهم إلى الله تعالى، وبدأ بالعقيدة، ثم عرج إلى الأخلاق والآداب.

ولقد جاء الحديث عن رسالة لوط عليه السلام في مواضع متفرقة.

قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ أَتَأْتُونَ الذَّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٦].

بدأت الآيات ببيان تكذيب قوم لوط عليه السلام للمرسلين، كذبوا لوطا عليه السلام كما كذبوا بمن سبقه من الرسل فالتكذيب فيهم متأصل، وبعض المفسرين يكتفي بقوله هنا مراعاة للفاصلة وتلك إجابة صائبة لكنها ليست كافية، وأقول: إن من كفر برسول فقد كفر بسائر الرسل، لأنها دعوة واحدة ورسالة واحدة، وإن كثر حملتها من الأنبياء والرسل، ولقد كذبوا بدعوات الرسل التي بلغتهم قبل إرسال لوط إليهم،

وحين جاءهم لوطٌ بادروا إلى تكذيبه .
حشتم عليه السلام على تقوى الله عز وجل فهي سبيل كل خير والعصمة من كل شر، وبين لهم أنه مرسل من عند الله عز وجل، أمين في دعوته.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ لوط من بلاد العراق وهم في بلاد الشام والأخوة هنا هي أخوة المصاهرة، أو أخوة المواطنة لأنه عاش فيهم وتزوج منهم.

حث لوطٌ على تقوى الله تعالى، بهذا الأسلوب الرائع الذي ينم عن حرصه على هدايتهم، وإشفاقه عليهم، وترفقه بهم، كلمات تنسل من قلب يذوب كمدا ويتفطر ألما على حال قومه.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أكد لهم رسالته وأمانته، فهو أمين في دعوته، أمين في نصحه.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ لخص دعوته في هذين الأصلين العظيمين تقوى الله تعالى بالخوف منه واجتناب محارمه وامثال أوامره، وطاعة النبي فيما يدعوهم إليه من الخير والصلاح في دينهم ودنياهم .

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦٣﴾ لا أنتظر منكم أجرا على دعوتي، لأن أجري على من أرسلني وهو رب العالمين، وفي هذا إعلان التجرد والإخلاص في هذه الدعوة، فهذه المهمة

الجليلة الثقيلة لم يتقاض عليها الأنبياء أجرا من البشر وإنما الأجر كله من الله الذي بعثهم.

﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٦]: يتركون نساء الدنيا كلها، ويضيقون على أنفسهم وقد وسع الله عليهم؛ ففي الحلال الطيب ما يسع الجميع، ودائرة الحلال واسعة، بينما اختاروا طريق الغواية والشذوذ.

﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٦]: يتركون نساء الدنيا كلها، ويضيقون على أنفسهم وقد وسع الله عليهم؛ ففي الحلال الطيب ما يسع الجميع، ودائرة الحلال واسعة، بينما اختاروا طريق الغواية والشذوذ.

قال ابن كثير: «بعث الله لوطا عليه السلام إلى أهل سدوم وما حولها من القرى يدعوهم إلى الله عز وجل ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها؛ فلم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم وهو إتيان الذكور دون الإناث وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر ببالهم حتى صنع ذلك أهل سدوم - عليهم لعائن الله - قال الوليد بن عبد الملك -

﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٦]: يتركون نساء الدنيا كلها، ويضيقون على أنفسهم وقد وسع الله عليهم؛ ففي الحلال الطيب ما يسع الجميع، ودائرة الحلال واسعة، بينما اختاروا طريق الغواية والشذوذ.

﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٦]: يتركون نساء الدنيا كلها، ويضيقون على أنفسهم وقد وسع الله عليهم؛ ففي الحلال الطيب ما يسع الجميع، ودائرة الحلال واسعة، بينما اختاروا طريق الغواية والشذوذ.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٢٣.

(٢) وعلى هذا تكون ال للعهد الذمى.

(٣) البحر المحيط ٤/ ٣٣٢.

لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ
يَّجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ [النمل: ٥٤ - ٥٥].

أنكر عليهم لوط عليه السلام فعلهم لتلك الفاحشة مع علمهم بقبحها وشناعتها ﴿وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ أي: تعلمون بقبحها، تبصرون ذلك بعقولكم وبصائركم، بل وحواسكم، وقيل: ﴿وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ أي: يبصر بعضكم بعضا أي: ينظر إليه تلذذا واستمناحا حيث كانوا يرتكبون الفاحشة في العلن، وقيل: ﴿وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ آثار العصاة المتهكين للحرمان ممن قبلكم فاعتبروا بهم.

﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٤ - ٥٥].

وصفهم بالجهل، والمقصود به هنا الجهل: ضد الحلم، وهو الطيش والسفه الذي يدفع صاحبه إلى ارتكاب هذا المنكر، دون إدراك لأخطاره أو تحسب لأضراره، كذلك الجهل المنافي للعلم؛ إذ لا يفعل هذه الموبقات إلا الجاهل بخطرها وعاقبتها، أو نفي العلم عنهم وإن علموا بقبحها وسوء عاقبتها لأن علمهم لم ينفعهم ولم يدفعهم عن هذا الجرم، فأضحى لا قيمة له، فهو بمثابة الجهل.

وفي سورة العنكبوت يقول عز وجل: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ
الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ

منهج الله الممثل في الفطرة السوية، والإسراف في الطاقة التي وهبهم الله إياها، لأداء دورهم في امتداد البشرية ونمو الحياة، فإذا هم يريقونها ويبعثونها في غير موضع الإخصاب. فهي مجرد ﴿شَهْوَةٍ﴾ شاذ، لأن الله جعل لذة الفطرة الصادقة في تحقيق سنة الله الطبيعية. فإذا وجدت نفس لذتها في نقيض هذه السنة، فهو الشذوذ إذن والانحراف والفساد الفطري، قبل أن يكون فساد الأخلاق ولا فرق في الحقيقة؛ فالأخلاق الإسلامية هي الأخلاق الفطرية، بلا انحراف ولا فساد. إن التكوين العضوي للأثنى - كالتكوين النفسي - هو الذي يحقق لذة الفطرة الصادقة للذكر في هذا الالتقاء، الذي لا يقصد به مجرد ﴿شَهْوَةٍ﴾ إنما هذه اللذة المصاحبة له رحمة من الله ونعمة، إذ يجعل القيام بتحقيق سنته ومشيتته في امتداد الحياة، مصحوبا بلذة تعادل مشقة التكليف! فأما التكوين العضوي للذكر - بالنسبة للذكر - فلا يمكن أن يحقق لذة للفطرة السليمة، بل إن شعور الاستقذار ليسبق، فيمنع مجرد الاتجاه عند الفطرة السليمة»^(١).

وفي سورة النمل يقول عز وجل: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ
الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ أَيُّكُمْ

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٣١٥.

واعظ، ولا نصيحة من عاقل، وكانوا في ذلك وغيره كالأنعام بل أضل سبيلا ولم يقلعوا عما كانوا عليه في الحاضر ولا ندموا على ما سلف من الماضي ولا راموا في المستقبل تحويلا فأخذهم الله أخذا ويلا^(١).

قال عبد الكريم الخطيب: «كانوا من الفجور وجفاف ماء الحياء من وجوههم، بحيث لا يجدون حرجا في أن يأتوا هذا المنكر علانية، وهم في مجتمعهم الذي يجتمعون فيه وهذا غاية ما يتردى فيه الإنسان، في طريق الانحدار إلى عالم الحيوان»^(٢).

وقد وصف قوم لوط بأوصاف ذميمة منها:

١. التكذيب.

قال تعالى في سورة الحج: ﴿وَلَا يَكْذِبُونَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾^(٤٤) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ^(٤٥) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُومِنٌ قَامِلِيَّتٌ لِّلْكَافِرِينَ فَنُزِّلْ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ^(٤٦) [الحج: ٤٢ - ٤٤].

وفي سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٤٧)، وفي سورة ص: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَارِ^(٤٨) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ^(٤٩)﴾^(٥٠) إِنَّ كُلَّ

مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ أَيْنَكُم مَّن تَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٨ - ٢٩].

أنكر عليه السلام على قومه تلك الفعل المنكرة القبيحة التي لم يسبقهم إليها أحد، وهذا مما يزيد في شناعتها وقبحها كونهم أول من قارفها، وأول من سنّها، كما أنكر عليهم قطعهم للسبيل على السابلة والمسافرين وترويعهم وسلب أموالهم وسفك دمائهم، ومجاهرتهم بالمنكرات في المجالس والنوادي دون خجل أو وجل، ودعاهم عليه السلام إلى عبادة الله عز وجل، والامتنال لما أمر به واجتناب كل ما نهى عنه، وحذرهم من سخط الله تعالى، وأليم عقابه، فقابلوا تلك الدعوة الصادقة بالتكذيب والإعراض والسخرية والاضطهاد والعداء والإيذاء، والتهديد والوعيد.

وقال الإمام ابن كثير: «وكانوا مع ذلك - أي: مع إتيانهم الفاحشة - يقطعون الطريق، ويخونون الرفيق، ويأتون في ناديهم - وهو مجتمعهم ومحل حديثهم وسمرهم - المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه، حتى قيل: إنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم، ولا يستحيون من مجالسهم، وربما وقعت منهم الفعل العظيمة في المحافل ولا يستنكفون ولا يرفعون لوعظ

(١) قصص الأنبياء ص ١٩٢.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب ٤/ ١٨٦.

إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿١٤﴾ [ص:]

١٢ - ١٤.]

وفي سورة القمر: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا مَالُ لُوطٍ نَّجَيْتَهُمْ بِسِحْرِ ﴿٣٤﴾﴾ [القمر: ٣٣-٤٠].

ينفك عنهم.

٣. الجهل.

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ﴾ [النمل: ٥٥].

قال الرازي رحمه الله: «تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها»^(٢).

وقال عبد الكريم الخطيب: «وانظر كيف تبلغ السفاهة بالقوم إنهم ليأتون الفاحشة في غير مبالاة، ولا ستر من حياء! يأتونها جهره وفي صورة جماعية، دون أن يجد أحدهم حرجا أو استحياء! وهذا غاية التدلي والإسفاف في عالم الإنسان، إلى درجة لا ينزل إليها كثير من عالم الحيوان حيث تأبى على بعض الحيوان طبيعته أن يتصل بأنثاه على مرأى من بني جنسه! بله اتصاله بذكر! الأمر الذي لم تعرفه الكائنات الحية، إلا في هذا الصنف الرذل الخسيس من الناس!»^(٣).

والتعبير بالفعل المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار، فالأيام والآيات لا تزيدهم إلا سفاهة وجهالة، وهم مصرون على جهلهم مقيمون عليه.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٣٨/١٢.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب ٣٢٩/٢.

كذبوا بنبي الله لوط عليه السلام وصدوا عن دعوته وجأهروا بالمعاصي مستحلين لها، واجتمعت كلمتهم على إخراج لوط وبناته لأنهم متطهرون، وكان التطهر جرم يعاقب صاحبه بالطرد والإبعاد، دون أن يلقوا بالآل بما عاينوه من آيات وقرع مسامعهم من نذر، ولا عجب فهذا منطوق أهل الكفر والضلال في كل زمان.

٢. الإسراف.

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: ٨٠ - ٨١].

«أي: متجاوزون لما حده الله متجرون على محارمه»^(١) وإسرافهم بإتيان تلك الفاحشة من مجاوزة الحد وإهدار الطاقات وتبديد الأوقات، وإذا كان الإسراف في المباح مذموم فما بالك بمن يسرف في الحرام! والتعبير باسم الفاعل؛ لبيان ملازمتهم للإسراف فهو طبعهم وحالهم لا

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٩٦.

٤. الفسق.

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا مَزَلْنَاهُ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤].

فتلك الفعلة القبيحة هي أشد ألوان الفسق، ففيها خروج عن الطاعة، خروج عن الشريعة، خروج على العرف المستقيم، تمرّد على الفطرة فليس هناك أسوأ مما كانوا عليه، فقد أضيفوا إلى السوء إضافة تدل على ملازمة، ورجل السوء هو الذي يسوء ويفسد كل من يخالطه، ووصفوا بالفسق صفة ملازمة لهم لا تنفك عنهم، وأصل الفسق من فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرتها التي تصونها وتحفظها، كذلك قوم لوط خرجوا عن منهج الله الذي يصونهم ويحميهم، وقد جلبوا الخزي والعار لأنفسهم واستوجبوا سخط الله وأليم عقابه

٥. الفساد.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

وأي إفساد أشد مما كانوا عليه من الكفر والفسوق، والتحلل والعري، وفساد الأمزجة وانتكاس الفطرة، وقطع السبيل، والخلل الاجتماعي، والانقلاب على

الحق، وإخراج أهل الطهر، فساد روحي وفساد اجتماعي وفساد سياسي واقتصادي، فالفساد داء عضال يستشري في أبدانهم ومتدياتهم ويلوث مجالسهم، صفة من صفاتهم التي لا تنفك عنهم، والفساد باض وأفرخ فيهم وتغلغل في مجتمعاتهم وبيوتهم، وهم إلى جانب فسادهم مفسدون أشد الإفساد، يسعون جاهدين لإفساد كل ما حولهم، ولا يقع إفسادهم عند حد.

وحين دعا لوط ربه استحثه على الإجابة ببيان ما هم عليهم من إفساد قال ابن عجيبة: «وصفهم بذلك ؛ مبالغة استنزال العذاب، وإشعارًا بأنهم أحقّاء بأن يعجل لهم العذاب»^(١).

وقال ابن عادل: «ثم إن لوطًا لما يش منهن طلب النصرة من الله وذكرهم بما لا يحب الله فقال: ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (فإن الله لا يحب المفسدين) حتى ينجز النصر»^(٢).

٦. العدوان.

قال تعالى: ﴿آتَاوُنَا الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَيَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رِزْقًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٤-١٦٦].

فقد اعتدوا على حرمات الله وانتهكوا

(١) البحر المديد، ابن عجيبة ٧/٥.

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ١٥/٣٤٣.

تَجْرِيَت ﴿٥٨﴾ **إِلَّا مَالُ لُوطٍ إِنَّا لَمَنَجُّوهُمْ**
أَجْمِيع ﴿٥٩﴾ [الحجر: ٥٨-٥٩].

وأي جريمة أشد مما كانوا عليه من فاحشة، فوق أنهم كانوا يقطعون السبيل على المارة والمسافرين ويتعرضون لهم بالأذى ويترشون بهم مع عزمهم على إخراج لوط وأهله المؤمنين الطاهرين من القرية بدون جريرة أو ذنب سوى أنهم مؤمنون طاهرون، ومن قبل هددوا لوطا عليه السلام بالرجم إن لم يكف عن دعوته .

٩. الامتراء.

فلقد جمعوا مع كفرهم وتكذيبهم الامتراء وهو التشكيك واللغط والاستخفاف والاستبعاد، والجدل المذموم، تشغيبا على لوط وتشويشا على دعوته، وسعيا لقلب الحقائق وتزيين الأباطيل وتحسين القبايح.

قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ﴾ ﴿٣٣﴾ **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا مَالُ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ** ﴿٣٤﴾ **رَيْعَةً مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ يَجْزِي مَنْ شَكَرَ** ﴿٣٥﴾ **وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ** ﴿٣٦﴾ [القمر: ٣٣-٣٦].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَآكِلٍ أَوْ قَوْمٍ مُّيَمَّنُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ [الحجر: ٦٣].

ومن ذلك المراء قولهم كما أخبر القرآن: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتَبْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ ﴿٢١﴾ [العنكبوت: ٢٩].

محارم الله وتجاوزوا الحد، واعتدوا على الغير، فإن من وضع الشهوة في غير موضعها عاد آثم.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرِّجُهُمْ حَافِظُونَ﴾ ﴿٥﴾ **إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلَا تَمْنَنَ فَرَاغٌ مِّنْهُنَّ غَيْرَ مُلْمَأِتٍ** ﴿٦﴾ **فَمَن ابْتَغَىٰ زَوَاةَ ذَلِكَ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴿٧﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

٧. السبق إلى السوء.

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ [الأعراف: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ [العنكبوت: ٢٨].

لقد حازوا قصب السبق لا في الخيرات ولا إلى المغفرة والرحمات، بل سبقوا في الفجور والشذوذ، فكانوا أول من ابتدع هذه الفاحشة التي انتشرت فيهم انتشار النار في الهشيم .

٨. الإجماع.

قال تعالى في بيان ما حل بهم من عقاب: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا قَاطِرًا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ [الأعراف: ٨٤].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾

قال السعدي: وهذه السكرة هي سكرة محبة الفاحشة التي لا يبالون معها بعذل ولا لوم^(١).

وقد وصفت تلك الفعلة بثلاثة أوصاف:
١. الفاحشة: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْغِضُونَ﴾ [النمل: ٥٤].
﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨].

فهي من أكبر الفواحش وأفحش الكبائر، وفيها ما فيها من فحش وبذاءة وفجور وخلاعة.

٢. الخبائث: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْغِضُونَ﴾ [النمل: ٥٤].
﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْغِضُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٨].

وهي جميع خبيثة فتدخل فيها اللواط دخولاً أولياً، وتشمل سائر ما كانوا عليه من فحش وبذاءة وخلاعة ومجون وعري، والتعبير بقوله: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْغِضُونَ﴾ لبيان سبب هلاك تلك القرية، وهو استمرارهم في عمل الخبائث، أي: ممارستها وابتداعها وامتهانها، وهل

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٣٣.

١٠. الظلم.

فقد وضعوا الأمور في غير موضعها، وعاثوا في الأرض ظلماً يقطعون الطريق ويستهكون المحارم، وبلغ بهم الظلم إلى أن هددوا لوطاً وافتروا عليه وأخرجوه من القرية، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١].

فلقد بلغوا من الظلم هذا المبلغ فاستحقوا العذاب.

١١. السكرة والعمه.

فلقد كانوا في غفلة سادرين، وفي عمه عن الحق لا يبصرون قال تعالى: ﴿لَعَنَّاكَ إِنْهُمْ لَفِي سَكْرَةٍ يَمْنَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

فما تجدي الموعظة مع من غرق في بحار السكر، فهو في عمى وحيرة يتخطى خط عشواء ويتردد بلا وعي، والله تعالى يلتفت لنيبه الكريم صلى الله عليه وسلم مقسماً بحياته العامرة، ليرى صورة من صور الانحراف الإنساني عن سنن الهدى، وصفاء الفطرة، وارتكاسها إلى مستنقعات الرذيلة ومزائق الهوى، وركوبها متن النزق متوغلة في أحوال الفاحشة لا تلوي على موعظة ولا تستجيب لنصح ولا تلتفت لنداء الحق، كيف وقد استبدت بهم النزوات واستعرت في نفوسهم الغلظة والشهوات.

ثانيًا: جواب قوم لوط:

ماذا كان موقف قوم لوط عليه السلام من دعوته كيف أجابوه؟ هل كان لمواعظه أثرٌ في نفوسهم؟ كلا والله بل لجوا في طغيانهم وتمادوا في غيهم، وأصرّوا على مقارفة جرائمهم، وكان ردهم عنيفًا قاسيًا ينم عن مراءٍ وتشغيٍ.

وفي سورة الشعراء يقول عز وجل: ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ يَنْلُوطْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧].

هددوه أولاً بالإخراج إن لم يكف عن إنكاره عليهم ومواعظه، ثم قرروا إخراجهم من قريتهم، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢].

كذبوا بالنذر، واستخفوا بها بل وتعجلوها، قال عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالْأَنْذَرِ﴾ [القمر: ٣٣].

وقال: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

ومن جملة هذه الآيات يتضح لنا موقف قوم لوط من دعوته، فلقد كذبوا به وأعرضوا عنه وسخروا منه، وتعجلوا وقوع العذاب، وهددوا بإخراجه ومن آمن به من آله من قريتهم لأنهم أطهارٌ أعفاء، وكان الطهر

هناك أخبث من إتيان الرجل للرجل! ومن خباثتهم إتيانهم المنكرات في نواديهم دون تورع ولا حياء، ومنها قطعهم للطريق، ومنها إهانتهم للأضياف، ومنها التعري، إضافة إلى كفرهم وتكذيبهم.

٣. عمل السيئات: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ٧٨].

فجرائمهم كثيرة ومن أفظعها وأشنعها جريمة اللواط، قال ابن عاشور: «فقد صارت لهم دأبا لا يسعون إلا لأجله» (١).

وقال عبد الكريم الخطيب: «عرض لسيرة هؤلاء القوم، وفضح لمخازيهم، وأن هذا الذي جاءوا إليه ليس ابن يومه، وإنما هو داء تعاطاه القوم من قبل، فكان طبيعة غلبت عليهم، حتى لقد صار عادة مألوفة عندهم، وأمرًا مستقرًا فيهم، ليس فيه ما يثير أي إحساس عندهم بالخزي أو الاستحياء» (٢).

وجمع السيئات في مقابلة جمع من يعملها، وتكرارها وتشنيعها لأنها ليست سيئةً واحدة بل سيئات شتى، فقد اعتادوا المنكرات وألفوها بلا حياءٍ يمنعهم ولا ضميرٍ يردعهم، فهرعوا من منكر إلى منكر ومن سيءٍ إلى أسوء.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١١/٣.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب ٢/٣٢٩.

الْصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ
الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ [العنكبوت: ٢٩ - ٣٠].

لقد مكث لوط عليه السلام في قومه مدة طويلة، يدعوهم إلى العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة والشرعية القويمة الحكيمة، التي جاء بها من عند الله تعالى، ولكنهم صموا آذانهم وعموا أبصارهم عن الحق، وقابلوا الحجج الساطعة والأدلة القاطعة بالجحود والإنكار وأصروا على كفرهم وتمادوا في غيهم وضلالهم، بل وتعجلوا العذاب حتى يش لوط من إيمانهم، فدعا الله عز وجل أن ينجيهم هو ومن آمن معه ويخلصهم من أولئك المفسدين الذين دنسوا الأرض ولوثوا العرض.

وقال سبحانه: ﴿قَالُوا لَيْنَ لَرَّ تَنَّهُ يَلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ
الْقَالِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الشعراء: ١٦٧ - ١٦٨].

بين لهم بغضه لعملهم القبيح وتبرأه منه، قال صاحب الكشاف: «(ومن القالين) أبلغ من أن يقول: إني لعملكم قال، كما تقول: فلان من العلماء، فيكون أبلغ من قولك: فلان عالم؛ لأنك تشهد له بكونه معدودا في زميرتهم، ومعروفة مساهمته لهم في العلم، والقلبي: البغض الشديد؛ كأنه بغض يقلق الفؤاد والكبد، وفي هذا دليل على عظم معصيتهم، والمراد: القلي من حيث الدين والتقوى، وقد تقوى همة الدين حتى تقرب

والعفاف ظلم وإجحاف وجرم وانحراف وكان الشذوذ والخنا هو العادة والإلف الذي ينكر على من يهجره وينتزع حق العيش ممن أثر الطهر والعفاف فلا مقام له بين ظهرائي الملوئين بأخبث الأقدار، ولا يخفى ما في هذا القول من سخرية وتهكم بالفضائل وكرهية لها، وتضييق على أهلها. يقول صاحب الظلال: «ويتجلى لنا انحراف قوم لوط في جوابهم لنبيهم، ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنظَهُرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢].

يا عجباً!! أو من يتطهر يخرج من القرية إخراجاً ليقى فيها الملوثون المدنسون؟! ولكن لماذا العجب؟ وماذا تصنع الجاهلية الحديثة؟ أليست تطارد الذين يتطهرون، فلا ينغمسون في الوحل الذي تنغمس فيه مجتمعات الجاهلية، وتسميه تقدمة وتحطيما للأغلال عن المرأة وغير المرأة، أليست تطاردهم في أرزاقهم وأنفسهم وأموالهم وأفكارهم وتصوراتهم كذلك، ولا تطيق أن تراهم يتطهرون، لأنها لا تتسع ولا ترحب إلا بالملوئين الدنسين الأقدار، إنه منطق الجاهلية في كل حين!!»^(١).

وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِّنْ

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٣١٦.

والفسق والفساد والعدوان، ووصفت تلك
الفعلة بثلاثة أوصاف: الفاحشة، الخبائث،
والسيئات، فينبغي أن يتنبه العقلاء إلى ما
يرمي إليه الشواذ من ترويج لفاحشتهم
وتمرير لها وكسر القيود أمامها.

كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية ^(١).
كذلك التعبير بقوله: ﴿مِنَ الْفَالِينَ﴾ كأنه
عليه السلام يشير إلى أنه ليس وحده قاليا
لهذا العمل فكل عاقل لبيب سوي النفس
مستقيم الفطرة لا بد وأن يقلب هذا العمل
ويبرأ منه.

هكذا كان رد فعلهم، وموقفهم المعاند
من دعوة لوط عليه السلام هددوه إن لم
يتوقف عن مواعظه البليغة أن يخرجوه من
القرية، وكان منطقهم في ذلك كما أخبر
القرآن ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ كأن الطهر
في عرفهم السقيم صار جريمة تستوجب
العقوبة، أما الشذوذ والمجون فهو حق لهم
يدافعون عنه ويسعون إلى إسكات كل من
يعارضهم وينفرهم شأن الشاذ في عصرنا
هذا، فقد كافحوا من أجل الدفاع عن فسادهم
وانحرفهم وحققوا نجاحا في بلاد الغرب،
حيث ارتفعت أصواتهم المنكرة، وكثرت
تجمعاتهم الفاجرة، وانتشرت متدياتهم
المستهترة، وروجوا لتلك الفاحشة بتسميتها
بغير اسمها المعهود على مر العهود،
فسمي من يفعلون ذلك بالمثليين، حتى
يهدموا الأسوار ويحطموا الحواجز أمام
ذلك المرض الخبيث، بينما كان لوط عليه
السلام محققا وكان صريحا في مناصحته
وإنكاره، فوصفهم بالإسراف والجهل

(١) الكشف، الزمخشري ٣/ ٣٣١. بتصرف.

لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدا أخبرته به أهل المدينة ممن يعمل سوء» (١).

لقد كذبت امرأة لوط بزوجه، وكان الأولى بها أن تكون أول من آمن به وأن تكون عوناً له على دعوته؛ لأنها أعلم الناس بأحواله، وأقرب الناس منه، ولكنها أثرت ما عليه قومها من الكفر والضلال؛ فكان عاقبتها الخسران والنكال.

ولم ينفعها زواجها من نبي الله لوط عليه السلام، وما أجمل قول القشيري في اللطائف: «إن الجسارة على الزلة وخيمة العاقبة، ولو بعد حين، ولا ينفع المرء اتصاله بالأنبياء والأولياء إذا كان في الحكم والقضاء من جملة الأشقياء» (٢). وسيأتي الحديث عن هلاكها.

لوط عليه السلام مع زوجته

قال تعالى في سورة التحريم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

والخيانة هنا هي: خيانة كفر لا خيانة زنا، خيانة في الدين لا في العرض؛ إذ نساء الأنبياء معصومات من الوقوع في خيانة العرض.

قال ابن كثير: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: في الإيمان، لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقتهما في الرسالة فلم يجد ذلك كله شيئاً ولا دفع عنهما محذوراً، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لكفرهما ﴿وَقِيلَ﴾ للمرأتين ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ﴾ (١٠).

وليس المراد بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة، بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما بغت امرأة نبي قط، كانت خيانتها أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرته الجبابة من قوم نوح به، وأما امرأة

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٩٣/٤ بتصرف.

(٢) لطائف الإشارات، القشيري ١٤٩/٣.

لوط عليه السلام مع بناته

ورد الحديث عن بنات لوط عليه السلام حين جاءه قومه يهرعون إليه، ليراودوه عن ضيفه المكرمين، فتزاحموا على بابه، ولم تكن لديه القوة على دفعهم وحماية ضيفه فعرض عليهم بناته للزواج، ردًا لهم إلى الفطرة النقية وإلى الغريزة الطبيعية، وصرفا لهم عن الشذوذ والانحراف الذي استهواهم، لكنهم عزفوا عن الزواج بل وتبجحوا ولمحوا ببغيتهم الخبيثة.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوْرُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنِ فِي صَیْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ٧٨﴾
قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْمَ مَا تُرِيدُ ٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ سَدِيدٌ ٨٠﴾ [هود: ٧٨-٨٠].

وقد وصف لوط ما عليه بناته من طهر وعفاف، كما مدح الله جل وعلا لوطا ومن آمن به من آل بيته بكونهم شاكرين لله تعالى.
قال سبحانه: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ إِنَّا آتَيْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ٣١﴾
يَقَعَمَةٌ مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ٣٢﴾،
نجى الله تعالى لوطا ومن آمن به من أهل بيته ويظهر لي والله أعلم أنه لم يؤمن به إلا بناته ولقد جاء الحديث عن نجاتهن معه عليه

السلام في سورة هود والحجر والذاريات، قال تعالى في سورة هود: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَّكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ٨١﴾.

وفي سورة الحجر يقول تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَآ كَانُوا فِيهِ يَسْتَمِرُونَ ١٢﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ١٣﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكَ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ١٤﴾ وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ١٥﴾.

وقال تعالى في سورة الذاريات يقول عز وجل: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٣٦﴾ فجمعوا بين الإيمان والإسلام، الإيمان بكل ما يعنيه من معاني وصفات، والإسلام الانقياد التام لله تعالى.

لوط عليه السلام مع الملائكة

أولاً: الملائكة في طريقها إلى قوم لوط:

في صورة من أبهى وأجمل الصور البشرية جاءت الملائكة الكرام إلى إبراهيم عليه السلام وبادروه بالتحية فحياهم بأحسن منها.

قال تعالى في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِىَ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لِيَتْ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِئِدٍ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تُصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٦٧﴾ وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَا فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود: ٦٩ - ٧١].

وقال سبحانه في سورة الحجر: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوَجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٥٣﴾ قَالَ أِبَشَرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمِ بَشِيرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْطِيطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَا لَ لُوطٍ إِنَّا لَمَجُومٌمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَانَهُ قَدَرْنَا لَهَا لَمِنَ الْغَنِيِّينَ ﴿٦٠﴾﴾

[الحجر: ٥١ - ٦٠].

وفي سورة الذاريات يقول جل وعلا: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٦٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٥﴾ فَرَأَى إِلَيْهِمْ فَجَلَّةً بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٦٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٦٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٦٨﴾ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٦٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٧٠﴾﴾ قَالَ فَاخْطُبْكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٣٢].

وفي هذه الآيات الكريمة يخبر المولى عز وجل عن نزول الملائكة في صورة بشرية ومجيئهم إلى الخليل إبراهيم عليه السلام حيث حياهم عليه السلام بأفضل مما حيوه، وبادر عليه السلام إلى إعداد الطعام لضيفه وقربه إليهم إثر فراغه من إعداده، فلم يمدوا إليه يداً؛ فأنكر ذلك منهم ووجده على غير ما يعهد من الضيف، فإن الضيف لا يمتنع من طعام المضيف إلا لرية، أو قصد سيئ، وأحس في نفسه خيفة منهم، فلما رآوا منه ذلك بادروا إلى تهدئة روعه وطمأنة قلبه، فأظهروا حقيقتهم وكشفوا عن مهمتهم التي من أجلها جاءوا، وهى إهلاك قوم لوط وقطع دابرهم بعد أن تمادوا في الكفر والطغيان وأصروا على الفسوق والعصيان، وهنا يتجلى موقف الزوجة المؤمنة سارة

رضي الله عنها حيث فرحت واستبشرت بهذه البشارة قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمُ لُوطٍ ۖ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَتَشَرَّتْنَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءُ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۖ﴾ [هود: ٦٩ - ٧١].

كانت قائمة من وراء الستر من أجل خدمة الضيفان، وقيل كانت قائمة تخدمهم بنفسها، وهي عجوز لا يخشى عليها ولا منها الفتنة .

والضحك هنا على حقيقته، وسببه الفرح والتعجب، فرحت حين سمعت الملائكة الكرام يخبرون إبراهيم عليه السلام بأمر نجاة لوط عليه السلام ومن آمن معه وهلاك المكذبين به المعرضين عن دعوته وتعجبت من حال الهالكين، كيف يتمادون في الضلال ويصرون على الانحلال مع قرب هلاكهم؛ فالأولى بهم أن يتوبوا إلى الله قبل فوات الأوان.

وهذا يدل على قوة إيمانها وجها وولائها للإيمان وأهلها، وبغضها وبرائها من الكفر وأهلها .

قال ابن كثير: «(فضحكت) استبشارا بهلاكهم لكثرة فسادهم وكفرهم وعنادهم، فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الإياس» (١).

وفى غمرة هذه المشاعر الإيمانية جاءت البشارة بالذرية الصالحة لتكتمل فرحتها وتتم سعادتها، جاءت البشارة وهي في هذا الموقف المحمود، كما جاءت البشارة لذكرى عليه السلام بالولد بعد طول انتظار -جاءته البشارة وهو قائم يصلى في المحراب - وكما أن الصلاة هي من أسمى العبادات: فموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، من أعظم القربات، وفى مجيء الملائكة بالبشارة أعظم تكريم لها عليها السلام.

ثانيًا: الملائكة في ضيافة لوط عليه السلام:

حق على قوم لوط العذاب، وجاءت الملائكة الكرام إليه في صورة بشرية، كما جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام، وظن لوط عليه السلام أنهم بشر كما وقع في ظن إبراهيم عليه السلام؛ فخاف لوط عليهم من تحرش قومه بهم وتعرضهم لهم بالإيذاء، ولولا حق الضيافة وآدابها لطلب منهم عليه السلام أن يغادروا القرية في الحال، ولكنه استحميا من مواجهتهم بالواقع المرير.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا بَيِّنَةً يَوْمَ ضَرَأَ يَوْمَ دَرَرًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧].

قال ابن كثير: «قال المفسرون: لما

بالخروج عن أهوائهم أدبروا عنه، ومقتوه، وربما أخرجوه من بلدهم» (٢)، وقوم لوط جاءوا يطيطون فرحا واهمين أنهم سينالون مرادهم الخبيث ويحققون بغيتهم الدنيئة على عادتهم الرديئة.

ثالثاً: موقف قوم لوط عليه السلام من ضيفه:

قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوِرْ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ٧٨﴾ قَالَوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ سَدِيدٌ ٨٠﴾ [هود: ٧٨ - ٨٠].

لما سمع قوم لوط بقدوم ضيف عليه جاءوا مهرولين إلى بيته، يحث بعضهم بعضاً، ويتدافعون صوب بيته. ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ فسجلهم حافل بالذنوب والآثام التي صارت لهم ديدنا حتى أدمنوها وهو عليه السلام يعرف ذلك منهم، فهم لا يتورعون عن معصية ولا يتخرجون من منكر؛ مما زاد من خوف لوط عليه السلام وقلقه على ضيفه، فكانت هذه البادرة القبيحة مما ينضاف إلى رصيدهم السابق في الذنوب والعصيان بما جعلها

فصلت الملائكة من عند إبراهيم وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل أقبلوا حتى أتوا أرض سدوم في صورة شبان حسان، اختاراً من الله تعالى لقوم لوط، وإقامة للحجة عليهم، فاستضافوا لوطا عليه السلام وذلك عند غروب الشمس، فخشي إن لم يضيفهم أن يضيفهم غيره، وحسبهم بشراً من الناس، ﴿سَيِّئَ يَوْمٍ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: شديد بلاؤه، وذلك لما يعلم من مدافعة الليلة عنهم، وكانوا قد اشترطوا عليه أن لا يضيف أحداً» (١).

والظاهر أنه قاله مع نفسه تخوفاً مما يترقبه من طيش قومه وعدوانهم على ضيفه مع قلة حيلته أمام قوتهم وكثرتهم واندفاعهم الذي يتوقعه.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ٧٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ٧٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ٧٩﴾ قَالَوا أَوْلَيْمُ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ٨٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ٨١﴾ لَعَنَّاكَ إِيَّاهُمْ لِفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ٨٢﴾ [الحجر: ٦٧ - ٧٢].

«وهذه عادة أهل الغفلة، إن جاءهم من يجدون فيه موافقة هواهم، هرعوا إليه مستبشرين، وإن جاء من ينصحهم ويأمرهم

(١) قصص الأنبياء، ابن كثير ص ١٩٣، ١٩٤ باختصار.

(٢) البحر المديد، ابن عجيوب ٥٧/٣.

القاصمة وعجل بهلاكهم .

قال ابن كثير: «أي هذا مع ما سلف لهم من الذنوب العظيمة الكبيرة الكثيرة» (١).

رابعاً: حوار بين لوط وقومه

﴿قَالَ يَتَقَوِّمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي مِنْ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْعِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].

أدرك عليه السلام الغرض الخبيث الذي جاء من أجله القوم، ورأى أنهم عازمون على هذا الأمر فعرض بناته على قومه لكي يتزوج بعض رجال القوم بهن حلالات طيبات، ويهجر عاداتهم القبيحة المنكرة وهي إتيان الرجال في أدبارهم، فإذا تزوج بعض الرجال بهن فسوف يسير جميع القوم على هذا السنن القويم والنهج المستقيم .

أدرك عليه السلام ذلك فأراد أن يوقظ فيهم داعي الفطرة قبل فوات الأوان، ويبعث فيهم روح النخوة والمروءة والطهارة والكرامة، ويحيي ضمائرهم الميتة ويعمر قلوبهم الخربة، يعمرها بتقوى الله عز وجل التي هي جماع كل خير وأساس كل بر وهي العصمة من كل سوء فقال لهم ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي مِنْ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْعِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].

عودوا إلى الفطرة السليمة، وأقبلوا على

الزواج وأنشدوا الحلال الطيب، وأنا أول من يعرض بناته عليكم للزواج .

عرض عليهم أن يتزوجوا ببناته، ولكنهم أبوا وآثروا الفاحشة المنكرة على الحلال الطيب، آثروا الشذوذ والانحراف على الطهر والعفاف، وقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ (٧٩) [هود: ٧٩].

قال الإمام الألوسي: «عنوا به قضاء الشهوة: أي ما لنا حاجة في بناتك، يجوز أن يكون المعنى: ما لنا في بناتك نكاح حق؛ لأنك لا ترى جواز نكاحنا للمسلمات وقيل: إنما نفوا أن يكون لهم الحق في بناته؛ لأنهم كانوا قد خطبوهن فردهم وكان من سنتهم أن من رد في خطبة امرأة لم تحل له أبداً، وقيل: إنهم لما اتخذوا إتيان الذكور مذهباً كان عندهم هو الحق وأن نكاح الإناث من الباطل فقالوا ما قالوا» (٢)، ﴿وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ أي: تعلم أن بغيتنا ونهمتنا في الرجال لا في النساء .

خامساً: تمنى القوة والمنعة والاعتذار للضيف الكرام

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِیْ بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ أَوْىءَ إِلَیَّ رُكْنِي سَدِيدٌ﴾ [هود: ٨٠].

ماذا يصنع نبي الله لوط عليه السلام في

(١) قصص الأنبياء، ابن كثير ص ١٩٤ .

(٢) روح المعاني، الألوسي ١٢/ ١٠ .

﴿فَأَنسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ أي بجزء من الليل وهو آخره ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَّكَ﴾ لا يلتفت أحد منكم حتى يرى العذاب المروع الذي ينزل بالمكذبين، وقيل: حتى لا يتعلق قلبه بتلك البلدة، وربما حدثته نفسه بالرجوع إليها والبقاء فيها فيهلك مع الهالكين، وقيل: ليسرعوا في السير؛ لأن من يكثر الالتفات لا يسرع في سيره.

وقال تعالى في سورة الحجر ﴿فَأَنسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ أمره عليه السلام بأن يسير خلفهم، وأن يمضوا جميعا في الطريق الذي أمروا بالسير فيه وبذلك أخبرت الملائكة لوطا بزمان السير ومكانه وكيفيته ومن يسير معه، وعاقبة المكذبين من قومه وعاقبة امرأته التي تهلك كما يهلك جميع المكذبين ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

وفي الحديث الشريف يقول صلى الله عليه وسلم (ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد) (٢).

والآية تفيد أنه تمنى وجود القوة والمنعة

هذا الموقف العصيب؟ ماذا يفعل؟ ومنطق الحق وحلاوة الإيمان لم تجد الطريق إلى تلك القلوب القاسية والعقول المتحجرة والنفوس الداعية للرديلة؟ كيف يحمي ضيفه من ذلك الهجوم الغاشم؟ كيف يحفظ كرامتهم؟ ويحميهم من قومه الذين عدموا المروءة والكرامة وانغمسوا في أوحال الشذوذ والانحلال؟

أين يلقي القوة التي تردهم والمنعة التي تصدهم! وهم وراء الباب يتزاحمون عليه ويرومون فتحه بالدفع أو بالكسر؟

ولم يكن عليه السلام يعلم أن هؤلاء الضيوف الذين يذود عنهم بشتى الطرق هم الذين جاءوا ليدافعوا عنه وينزلوا بقومه أشد صنوف العذاب والنكال!

لقد استفرغ لوط عليه السلام ما في وسعه وبذل أقصى جهده في دفع قومه، وصرفهم عن هدفهم الخبيث، ولم يعد في وسعه عليه السلام إلا أن يعتذر لضيفه الكرام ويقول لهم ﴿لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ أَوِيَّ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾.

وفي هذه اللحظة العصبية تكشف الملائكة عن حقيقتها ومهمتها، قال الإمام القشيري: «لما ضاق به الأمر كشف الله عنه الضر، فعرف إليه الملائكة» (١).

﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ بَشُرُوهُ عليه السلام وطمانوه.

(١) لطائف الإشارات، القشيري ٣/ ١٤٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (ونبئهم عن ضيف إبراهيم)، رقم ٣٣٧٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، رقم ١٥١.

التي تمكنه من الدفاع عن الحق ومحاربة الباطل والقضاء على الانحراف والذود عن الأضياف .

أما الحديث فإنه يدل على أنه عليه السلام كان يأوي إلى ركن شديد، وهذا هو المناسب لحال الأنبياء - عليهم السلام - الذين وصلوا إلى أعلى درجات المعرفة و أسمى مقامات التوكل واليقين برب العالمين، وطلبه عليه السلام للقوة والمنعة لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب؛ لأنه لا بد للحق من قوة تحميه.

يقول ابن حزم الظاهري في الفصل «ولا جناح على لوط عليه السلام في طلب قوة من الناس فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ولقد طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المنعة من الأنصار حتى يبلغ كلام ربه (١).

(١) روى الإمام أحمد في مسنده ٣/٣٢٢، رقم ٣٢٩، من حديث جابر بن عبد الله في بيعة العقبة الثانية، وفيه قال جابر قلنا يا رسول الله

وإنما أخبر صلى الله عليه وسلم أن لوطا كان يأوي إلى ركن شديد، يعنى الملائكة الكرام الذين أرسلهم الله تعالى لحمايته ونصرته ولم يكن لوط عليه السلام يعلم بذلك، ومن اعتقد أن لوطا كان يعتقد أنه ليس له من الله ركن شديد فقد كفر؛ إذ نسب إلى نبي من الأنبياء هذا الكفر، وهذا أيضا ظن سخيف؛ إذ من الممتنع أن يَظُنَّ برب أراه المعجزات وهو دائب يدعو إليه هذا الظن» (٢).

وقال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: «وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ويرحم الله لوطا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد) فالمراد بالركن الشديد هو الله سبحانه وتعالى، فإنه أشد الأركان وأقواها وأمنعها ومعنى الحديث - والله أعلم - أن لوطا عليه السلام لما خاف على أضيافه ولم يكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في ذلك الحال: لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسي، أو آوي أي: إلى عشيرة تمنع لمنعتكم، وقصد لوط عليه

على ما نبأكم؟ قال على السمع والطاعة في النشاط والكسل.....وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم... قال ابن كثير في السيرة النبوية ٢/١٩٦: هذا إسناد جيد على شرط مسلم.

(٢) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم ٩/٤.

نجاه لوط وبناته وهلاك امرأته

كشفت الملائكة الكرام للوط عليه السلام عن حقيقتهم ومهمتهم التي أرسلوا من أجلها فقالوا للوط - عليه السلام كما أخبر القرآن الكريم في سورة هود: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْهُفْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًاكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝٨١﴾.

وفي سورة الحجر يقول تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَآ كَانُوا فِيهِ يَسْتَمْتُونَ ۝٦٣ وَأَيُّنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝٦٤ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْهُفْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَآمِنُوا حَيْثُ تَوَمَّرُونَ ۝٦٥ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنْ دَازِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٍ مُّصْبِحِينَ ۝٦٦﴾.

بشّروه عليه السلام بنجاته هو ومن آمن به من أهل بيته وهلاك قومه الذين كذبوا به وأعرضوا عنه، وخرج لوط عليه السلام في جنح الظلام مع أهل بيته، وسار من ورائهم حتى لا يتخلف منهم أحد فينال العذاب، وسار الجميع في الطريق الذي أمروا بالسير فيه، ولم ي تلفت منهم أحدًا إلا امرأة لوط التي التفتت نحو القرية فأصابها ما أصاب قومها من العذاب.

قال عز وجل: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا

السلام إظهار العذر عند أضيافه، وأنه لو استطاع دفع المكروه عنهم بطريق ما لفعله، وأنه بذل ما في وسعه في إكرامهم والمدافعة عنهم ولم يكن ذلك إعراضاً منه عليه السلام عن الاعتماد على الله تعالى، وإنما كان لما ذكرناه من تطيب قلوب الأضياف.

ويقال: إن قوم لوط لم يكن منهم أحد يجتمع معه في نسب لأنهم من سدوم، وهو من الشام، وكان أصل إبراهيم ولوط من العراق، فلما هاجر إبراهيم إلى الشام هاجر معه لوط فبعث الله لوطاً إلى أهل سدوم فقال: لو أن لي منعة وأقارب وعشيرة لكنني أستنصر بهم عليكم ليدفعوا عن ضيفاني^(١).

(١) شرح صحيح مسلم ٤٧٨/٦.

أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنْ الْغَيْرِينَ ﴿٨٣﴾ [الأعراف: ٨٣].

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾
إِلَّا مَال لُّوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾
إِلَّا أَمْرَانَهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمَنِ الْغَيْرِينَ ﴿٨٦﴾﴾
[الحجر: ٥٨ - ٦٠].

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي
الْغَيْرِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الشعراء: ١٧٠ - ١٧١].

أي: في الهالكين، لما كانت منهم نالت مصيرهم الذي قدره الله تعالى لها.

وفي سورة الأنبياء في سياق الحديث عن من الله على أنبيائه ورعايته لهم قال تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسَقِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧٤ - ٧٥].

عصمه الله تعالى بما آتاه من حُكْمٍ وعلم وثبته أمام هذا الابتلاء العظيم، ثم خلصه من تلك القرية التي غلب عليها الخبث وطغى عليها الفساد، وأدخله الله في رحمته لينال جزاء صبره وثباته سعادةً وفلاحاً في الدنيا وصلاح بال وقرّة عين وعيش هنيء.

قال الرازي: إنه عليه السلام لما آتاه الله الحكم والعلم وتخلص عن جلساء السوء فُتِحَتْ عليه أبواب المكاشفات، وتجلت له أنوار الإلهية وهي بحر لا ساحل له وهي

الرحمة في الحقيقة ^(١).

وقال البقاعي: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ﴾ أي دونهم بعظمتنا ﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي في الأحوال السنية، والأقوال العلية، والأفعال الزكية، التي هي سبب الرحمة العظمى ومسببة عنها، ثم علل ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: لما جلبناه عليه من الخير ^(٢).

وقال القشيري: «أكمل له الأنعام بعصمته من مثل ما امتحن به قومه، ثم بخلاصه منهم بإخراجه إياه من بينهم، فميزه عنهم ظاهراً وباطناً» ^(٣).

وقال السعدي: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ التي من دخلها كان من الأمنين، من جميع المخاوف، النائلين كل خير وسعادة وبر، وسرور وثناء، وذلك لأنه من الصالحين، الذين صلحت أعمالهم وزكت أحوالهم، وأصلح الله فاسدهم، والصلاح هو السبب لدخول العبد برحمة الله، كما أن الفساد سبب لحرمانه الرحمة والخير، وأعظم الناس صلاحاً الأنبياء عليهم السلام ^(٤).

وفي سورة الذاريات يقول عز وجل: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرِ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ هو بيت لوط عليه السلام، قال مجاهد: لوط وابنتاه،

(١) مفاتيح الغيب ١/ ٣١٥٤.

(٢) نظم الدرر ٥/ ٩٩.

(٣) لطائف الإشارات ٢/ ٥١..

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٢٧.

صنوف العذاب التي حلت بقوم لوط

تحدث القرآن الكريم حديثاً مفصلاً عن صنوف العذاب التي حلت بقوم لوط عليه السلام، فلقد طُمِسَتْ أعينهم حين راودوا لوطاً عليه السلام عن ضيفه، وقلبت قراهم فجعل عاليها سافلها، وأمطروا بحجارة من سجيل منضود، وأخذتهم الصيحة فهلكوا جميعاً.

يقول المولى عز وجل في سورة القمر:

﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ ۖ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ۖ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ ۖ ﴿٣٨﴾﴾ [القمر: ٣٧ - ٣٩].

قال القرطبي في تفسيره: «قال ابن عباس وأهل التفسير: أغلق لوط بابَه والملائكة معه في الدار وهو يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الجدران، أو كسر الباب أو دفعه بالقوة، فلما رأت الملائكة ما لقي من الجهد والكرب والنصب بسبيهم قالوا: يا لوط إن ركنك لشديد، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود، وإننا رسل ربك، فافتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب فضربهم جبريل بجناحه وقيل: أخذ جبريل قبضة من تراب فأذراها في وجوههم»^(١).

قلبت قراهم فصار عاليها سافلها كما قال

وصفوا بالإيمان والإسلام لتصديقهم الباطني والتزامهم وانقيادهم الظاهري، فجمع الله تعالى لهم بين الإيمان والإسلام، وعلى هذا فإنه لم يؤمن بلوط عليه السلام سوى بناته وقد نجاهن الله مع أبيهن نبي الله عليه السلام.

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٧٨، ٨. بتصرف.

عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَاقِلَهَا﴾ [هود: ٨١].

قال الحافظ ابن حجر: «أهلكهم الله عز وجل على يد جبريل فقلب مدائنهم بعد أن خرج عنهم لوط بأهل بيته إلا امرأته فإنها تأخرت مع قومها، أو خرجت مع لوط فأدركها العذاب فقلب جبريل المدائن بطرف جناحه، فصار عاليها سافلها، وصار مكانها بحيرة متنة لا يُتفع بمائها ولا بشيء مما حولها»^(١).

ويقول عز وجل: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۖ فَفَقَشْنَاهَا مِثْلَ سُحُبٍ ۖ فَبَاقِيَ ۖ فَآلَهُ رِيْدٌ ۚ تَتَمَارَىٰ ۚ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأَوَّلَةِ﴾ [النجم: ٥٣-٥٤].

والمؤتفكة هي: قرى قوم لوط، سدوم وما حولها: وسميت بالمؤتفكة؛ لأنها انقلبت رأساً على عقب، والإفك هو صرف الشيء عن وجهه، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾: قيل دفعها جبريل بيده بعد أن اقتلعها ثم أهواها إلى الأرض: أي أسقطها ﴿فَفَقَشْنَاهَا مِثْلَ سُحُبٍ﴾ تهويل وتعظيم لما أصابها وعمَّها وغمرها من عذاب مهين أليم.

وقال تعالى: ﴿وَبِآءَ فِرْعَوْنَ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتِ بِالْخَاطِئَةِ ۖ فَصَوَّرَ رَسُولُ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ٩-١٠].

﴿وَالْمُؤْتَفِكَتِ﴾ أي: قرى قوم لوط

﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أي بالخطايا الشنيعة، ﴿فَصَوَّرَ رَسُولُ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ أخذة شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح، يقال: ربا الشيء يربو: إذا ازداد ومن بدائع اللطائف القرآنية قوله تعالى ﴿فَصَوَّرَ رَسُولُ رَبِّهِمْ﴾ فهم قد عصوا رسلاً كثيراً، ولكن لما كانت دعوة الرسل واحدة ومصدرهم واحد وهو الوحي وغايتهم واحدة كانوا جميعاً كرسول واحد يمثل حقيقة واحدة.

ويقول المولى عز وجل عن عذاب قوم لوط: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۖ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤-٣٥].

والرجز هو العذاب من قولهم: ارتجز إذا اضطرب، وذلك لما يلحق المعذب من قلق واضطراب وجزع وهلع، وفي هذه الآية إشارة إلى الحالة النفسية التي لازمت قوم لوط حين عاينوا العذاب وحل بهم؛ بسبب ما كانوا عليه من الفسق، فالعذاب الذي حاق بهم عذاب حسي ومعنوي.

ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْصُورٍ ۖ مَّثُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢-٨٣].

والسجّيل: الحجارة الصلبة، قال قتادة

(١) فتح الباري ٦/٤٧٨.

بعكارة من سجيل منضود سريعة متتابعة مسومة لا تخطئ أهدافها .

ويقول عز وجل في سياق الحديث عن عذابهم في سورة الحجر: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ أي: وقت الشروق، وفي ذلك مباحة لهم، بين المولى عز وجل صنفا آخر من صنوف العذاب التي حقت بهم وهي صيحة مدوية مزعجة كالرعد القاصف .

وخلاصة ما سبق ذكره: أن قوم لوط عذبوا بأنواع شتى من العذاب طمست أعينهم، وقلبت قراهم وأمطروا بحجارة من سجيل منضود، كما أخذوا بالصيحة المخيفة المرعبة التي تدوي في الأذان فيهتز منها الكيان ويشيب من هولها الولدان .

قال الإمام ابن تيمية «وعذب قوم لوط بأنواع من العذاب لم يعذب بها أمة غيرهم، فجمع لهم بين الهلاك والرجم بالحجارة من السماء وطمس الأبصار وقلب القلب الديار بأن جعل عاليها سافلها» (٣) .

وقال الإمام ابن القيم «جمع الله أنواع العقوبات بين الإهلاك وقلب ديارهم عليهم والخسف بهم ورجمهم بالحجارة من السماء فنكل بهم نكالا لم ينكله بأمة سواهم، وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد الأرض تميد من جوانبها حين

وعكامة: السجيل: الطين بدليل قوله تعالى: ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ فهو الطين الذي جف وأصبح صلبا شديدا الصلابة، وقال الحسن: والسجيل عند العرب كل شديد صلب (١) .

(والمضود) هو المتواصل المتتابع كطلقات المدافع، قد أعد لعذابهم، والمسومة: هي مالها علامة مميزة، وقيل: مكتوب على كل حجر اسم من يرمى به، فهي مصوبة موجهة بدقة متناهية .

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا نَالَ لُوطٌ حَيْثُمُومٌ﴾ [القمر: ٣٤] .

وقال القرطبي: «أي: ريحا ترميهم بالحصباء وهي الحصى» (٢) .

ويحتمل أن تكون الحصباء هي الحجارة المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ وهذه الحجارة قذفها الملائكة وحملتها الرياح حتى بلغت أهدافها، والرياح جند من جنود الله عز وجل، ويحتمل أن تكون الحصباء غير الحجارة المشار إليها، وبهذا يكون قد اجتمع على قوم لوط صنفان من العذاب: إرسال الحصباء عليهم بواسطة الرياح التي تثيرها وتحملها، وإمطار السماء عليهم

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٨١/٩ .

(٢) المصدر السابق ١٧/١٤٣ .

وانظر: البحر المحيط، أبو حيان ١٨١/٨، روح المعاني، الألوسي ٩/٢٧ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٥/١٦ .

تعمل عليها^(١).

لقد صموا آذانهم وأعموا أبصارهم عن صوت الحق ونوره، واختلطت مفاهيمهم وانقلبت موازينهم واستباحوا اللواط وهو أشنع وأفحش من الزنا وأعظم منه جرما وإثما، فعاقبهم الله بطمس أبصارهم التي عمت عن نور الحق، وأخذتهم الصيحة تدوي في آذانهم التي صمت عن الحق، وقلبت قراهم فجعل عاليها سافلها ؛ فلقد انقلبت موازينهم واختلطت مفاهيمهم، فاقترفوا تلك الفاحشة وهي إتيانهم الرجال من دون النساء، وفي هذا انقلاب في ميزان الفطرة، واعتبروا الطهر والعفاف إثما وجرما يستحق صاحبه العقاب والطرْد ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

أما الشذوذ والانحراف فهو حق لهم يجاهرون به ويتباهون بفعله ويطالبون به كما يطالب الإنسان بحقه المشروع ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَرَبِّكَ لَعَلُّهُ مَا زُرْتُمْ﴾ [هود: ٧٩].

﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ﴾ [القمر: ٣٧].

واستعجلوا وقوع العذاب وكان واجبهـم طلب الهداية والنجاة، قال تعالى: ﴿إِيَّاكُمْ

لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

فكان حالهم في استعجال العذاب كحال كفار قريش حين قالوا كما أخبر القرآن الكريم ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حُجُوتُكَ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا إِنَّنَا لَأَنفَالُ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وكان الأولى بكفار قريش أن يقولوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه وحببنا فيه وثبتنا عليه .

ومن مظاهر انقلاب موازين قوم لوط أنهم اعتبروا واجب الضيافة أمرا منكرا يجب اجتنابه فقالوا للوط عليه السلام ﴿أَوَلَمْ تَنْهَكَ عَنِ الْعَالِيَيْنَ﴾، هو ينهاهم عن الفحشاء والمنكر وما فيها من إهانة وهم ينهونه عن البر والخير وإكرام الضيف .

لم يراعوا حق الضيافة ولا حرمة الضيف بل هرعوا إلى بيت لوط وراودوه عن ضيفه، وبسبب هذه الأفعال المنكرة التي تدل على انقلاب موازينهم واختلاط المفاهيم عندهم استحقوا العذاب الأليم المهين، حيث قلبت قراهم فأصبح عاليها سافلها، ورجموا بالحجارة وأخذوا بالصيحة، أصناف مختلفة

(١) الجواب الكافي، ابن القيم ص ٢٥١.

بها وهي إهلاك قوم لوط، ونجاة لوط ومن آمن به من أهل بيته، وهلاك امرأته مع الهالكين، وتخرج لوط من مجيء الملائكة في صورة بشرية ؛ خوفاً عليهم من قومه وحين اشتد عليه الأمر أخبروه بحقيقتهم ومهمتهم، حيث حل العذاب على أولئك الفساق، وجعلهم الله عبرة واضحة وموعظة بليغة لكل عاقل .

من العذاب لتنوع جرائمهم وكثرة مفسادهم وذنوبهم.

لقد حل بقوم لوط أشد وأنكى صنوف العذاب بسبب كفرهم وفسقهم وفي ذلك عبرة لمن يعتبر قال تعالى بعد أن ذكر ما حل بقوم لوط من العذاب الشديد ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّعِينَ ٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ٧٧﴾

[الحجر: ٧٥-٧٧].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا لَهُمْ عَلَيْهِمْ مُّصِيبَاتٌ ١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٣٨﴾

[الصافات: ١٣٧-١٣٨]. وقال عز وجل

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مُّنْضُودٍ ٨٢﴾ مُّسَوِّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ٨٣﴾ [هود: ٨٢-٨٣].

وفي سورة العنكبوت قال تعالى: ﴿إِنَّا مَنَزَلْنَاهُ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ٢١﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٢﴾.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أَنزَلْنَاهُ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ٣٢﴾ لِّنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن طِينٍ ٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَنِيٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٣٦﴾ وَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ٣٧﴾

[الذاريات: ٣٢ - ٣٧].

بينت الآيات الكريمة مجيء الملائكة لإبراهيم أولاً وإبلاغه بمهمتهم التي وكلوا

فوائد وعبر من قصة لوط عليه السلام

في قصة لوط عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم الكثير من الدروس المستفادة نذكر منها ما يأتي:

١. جعل الله تعالى قوم لوط عبرة لمن يعتبر، عبرة لكل مكذبٍ عبرة لكل ظالم وفاسق، عبرة لكل مسرف عاذٍ، فهذا شعيب عليه السلام يحذر قومه من مصير من سبقهم على طريق الكفر والضلال فيقول كما أخبر القرآن: ﴿وَنَقُورَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]. وقد ضرب

الله بهم المثل في أمم هالكة وقرون غابرة قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيْسِ وَنُوحٌ ﴿١١﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٢﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُيُوسُفَ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٣﴾﴾ [ق: ١٢-١٤]. وقال جل وعلا: ﴿وَلَنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَنُوحٌ ﴿١٤﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿١٥﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٦﴾﴾ [فصل: ١٤-١٦]. فكان من قريته أهلكتها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها ويتر

مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ﴿١٧﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَلِمَ تَقَعَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَقَعَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ٤٢-٤٦]. وقال تعالى:

﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿١٩﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَهَا لَيْسِيلٌ يُقْبِرُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر: ٧٣-٧٧].

وقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا لَهُمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِقَاءَ يُسُفِيهِمْ ﴿٢٤﴾ وَبِالْآيَاتِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٩].

٢. درس في التربية والدعوة: إعداد الله تعالى لآنياته هؤلاء الأنبياء وهم أعلم الخلق بربهم وأعظمهم خشية له وهم المثل العليا في الأخلاق والآداب والسلوك والتعامل: كيف تربوا؟ وفي أي مدارس تخرجوا؟ إنها تربية خاصة وإعداد رشيد، فالله تعالى يعده لهذه المهمة الجليلة التي لا يقوم بها ولا ينهض لها إلا رجال من طراز خاص. فهذا لوط عليه السلام يتربى في كنف عمه إبراهيم ويعاين تلك الآية الكبرى كيف ألقى في النار فكانت له بردا وسلاما.

٣. التوحيد هو أساس دعوة جميع الأنبياء، ولقد استهل لوط عليه السلام دعوته بعرض العقيدة الصحيحة الخالصة، عقيدة التوحيد .

٤. العقيدة أولاً: بدأ بها لوط لأنها الأساس الذي تقوم عليه المكارم والفضائل، الأصل الذي تقوم عليه القيم والأخلاق. بدأ بالعقيدة قبل أن ينكر على قومه ما هم فيه من الفاحشة والمنكرات، وذلك لأن الطريق إلى الإصلاح المنشود، الإصلاح الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، لا بد أن يبدأ من إصلاح العقيدة وإخلاص العبادة، فإذا صحت العقيدة ورسخت في قلوب المؤمنين، وخلصت العبادة لله رب العالمين كان الطريق إلى الإصلاح والتغيير طريقاً سهلاً ممهداً، وبدون العقيدة الصحيحة لن تفلح أي محاولة للإصلاح أو التغيير. فالعقيدة هي الحصن الحصين والأساس المتين والنبراس المبين للدعاة والمصلحين، وفي قول لوط عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٦٢] بيان لأهمية الأمانة للدعاة، أمانة الكلمة، أمانة النصيحة، أمانة التبليغ.

٥. تجرد الأنبياء وإخلاصهم في الدعوة إذ لم يتقاضوا عليها أجراً من البشر، وإنما

الأجر كله من الله الذي بعثهم .

٦. ضرب لوط عليه السلام أروع الأمثلة في الصبر والثبات على الحق، والحكمة في الدعوة إلى الله عز وجل والثقة بالله تعالى واليقين بوعده سبحانه الذي لا يتخلف، كما ضرب عليه السلام أروع الأمثلة في إكرام الضيف ورعاية حقوقهم والترحيب بهم حتى في أصعب الأحوال، فلقد استضافهم عليه السلام رغم أن قومه نهوه عن ضيافة الغرباء وحذروه من عاقبة ذلك، وحين هرع قومه إلى بيته وراودوه عن ضيفه نجده يدافع عن ضيفه، ويدود عنهم بكل ما يملك حتى وصل به الأمر إلى عرض بناته على قومه - ليتزوجوا بهن - في مقابل عدم تعرضهم للضيف الكرام وفي هذا درس هام في إكرام الضيف، ولنا في أنبياء الله الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة .

٧. في موقف لوط عليه السلام من قومه حين هرعوا إلى بيته وراودوه عن ضيفه، وحاول بكل السبل منعهم، وصدهم حتى ضاقت به السبل فالتفت إلى ضيفه واعتذر لهم، ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ في هذا الموقف إشارة إلى أهمية القوة في نصرة الحق وفي نشر الدعوة وفي مواجهة أهل

يَتَقَوُّكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ
﴿٢٠﴾ [المستحنة: ٢].

٨. ويستفاد من هذه القصة أن الكافر يعاقب على كفره ولا تنفعه قرابته من أهل الإيمان في النسب أو المصاهرة، كما أن المؤمن يثاب على إيمانه ولا يضره قرابته من الكافرين في النسب أو المصاهرة. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]. وامرأة لوط رغم أنها أقرب الناس إليه وأعلمهم بأحواله وأفعاله إلا أنها كذبت به وآثرت ما عليه قومها من الكفر والضلال على ما جاء به لوط عليه السلام من الإيمان والهدى والفلاح والصلاح، فلم تنفعها قرابتها له وقربها منه. قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣]. وقال تعالى ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمَنِ الْغَابِرِينَ﴾ [الحجر: ٦٠]. نجا الله لوط عليه السلام ومن آمن به من أهل بيته وأهلك زوجته، تلك العجوز التي شبت على الكفر وشابت عليه، وكان الأولى بها

الباطل، فالحق لا بد له من قوة تحميه . ولذلك كان الجهاد في سبيل الله للقضاء على النظم الجاهلية التي تحول دون وصول الحق وتكره الإنسان على عبادة غير الله وتقف للمسلمين بالمرصاد فلا بد إذا من الجهاد لإزالة وإزاحة هذه النظم المتسلطة الجائرة، حتى يكون الطريق ممهدا لدعوة الله، لتجد طريقها إلى القلوب الصادقة والنفوس المتشوقة والعقول المتعطشة لدين الله، دين الحق والرشاد . ولا بد من الجهاد لحماية المؤمنين المستضعفين المضطهدين . قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ فَإِنْ أُنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩]. ولقد حشنا الإسلام على إعداد القوة في مواجهة أعداء الله الذين يصدون عن سبيله ويغفونها عوجا قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فالقوة في الإسلام وسيلة لا غاية، وسيلة نبيلة إلى غاية سامية هي إرهاب أعداء الله؛ لأنهم متى استهانوا بالمؤمنين قهروهم . قال تعالى: ﴿إِنْ

وقد أصابها الكبر فبدل قوتها ضعفا وهوانا وشبابها شيئا، فكان بلوغها الكبير: من أبلغ النذر، ومن أعظم العبر. ومنطق الحق يقول: إن الإنسان كلما كبر سنه كلما نضج عقله وصفا ذهنه وجادت قريحته وزادت خبرته وفراسته، ولكن امرأة لوط تلك العجوز على النقيض من ذلك فهي ما زادتها أحداث الليالي وتتابع الأعوام إلا غفلة على غفلة وضلالا على ضلال.

٩. كما يعاقب الكافر على جميع جرائمه، وفي مقدمتها الكفر وهو أكبر الذنوب، فإنه يعاقب على سائر الذنوب كبيرها وصغيرها. التناسب بين الجريمة والعقاب ؛ فقوم لوط كانوا يحذفون عابري السبيل بالحجارة فأيهم أصابه استأثر به واعتدى عليه، وقد انقلبوا وتمردوا على الفطرة السليمة والطبيعة المستقيمة، فصار الشذوذ عندهم معروفا ومألوفا وصارت الفاحشة عندهم حقا مشروعا، وصار الطهر والعفاف جريمة يؤاخذ بها أصحابها، فكان الجزاء من جنس العمل، قلب الله قراهم فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من جهنم، وسلط عليهم الريح، ترجمهم بالحجارة، وأخذتهم الصيحة وغير ذلك من ألوان العذاب

التي كثرت لكثرة جرائمهم. ١٠. وصف الله لوطا ومن آمن به من أهل بيته بالشكر. قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم حَاصِبًا إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٢٤﴾ نِعْمَةً مِنَّا عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٢٥﴾﴾ وقد يتساءل البعض ويقول: أي شكر وقد ابتلوا بأرذل قوم، قوم لوط الذين جمعوا بين الكفر والفسوق والعصيان والانحلال والتبجح والدناءة وسائر ما يعد من مساوئ الأخلاق ؟ لكن أقول: إن أمر المؤمن كله خير فهو بين الصبر والشكر، يحمد الله تعالى على الضراء، كما يحمد على السراء، يشكره تعالى في زمان الفتن وأوقات المحن كما يشكره في سائر الأوقات، يستنشق نسيم النعم ويتذوق حلاوة الهداية ويعتز بالحق ويستعصم بالعفاف والطهر، سيما إذا رأى المجتمع من حوله يتردى في ظلمات الكفر، أو يتمرغ في أحوال الرذيلة، أو يكتوي بلهب المعاصي، ويتقلب على جمرها الحار، فيحمد الله تعالى على أن هداه وعصمه وطهره ونجاه من حمأة الرذيلة، فيشعر بجنة الرضا وبرد اليقين وحلاوة الإيمان، ولذة الطاعات، فهلاك الظالمين ونجاة المتقين نعمة من الله تعالى تستوجب

الشكر.

١١. سنن الله تعالى ثابتة لا تتغير فهؤلاء قوم لوط توعده بإخراجه من قريته؛ لأنه كان ينكر عليهم عبثهم ومجونهم وقد جاءهم بالحق ولكنهم كانوا كارهين له، ونبينا صلى الله عليه وسلم أخرجه قومه؛ لأنه جاءهم بالتوحيد ومكارم الأخلاق ونقض ما كان عليه أهل الجاهلية من كفر وطغيان، وقد روت عائشة رضي الله عنها في حديث كيف كان بدء الوحي؟ (فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أو مخرجي هم)، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً^(١).

١٢. ذم اللواط وعقوبة فاعله: اللواط من أكبر الفواحش، ومن أفحش الكبائر،

وهو مرض خطير وشر مستطير وجرم كبير، عاقبته وخيمة ونهايته مفرغة مفعجة أليمة، وهو شذوذ وانحراف، وفسوق وإسراف وضلال وانحلال، ومذلة للرجال؛ لأنه يقتل فيهم الرجولة والمرءة والشهامة، ويصيروا بارتكابه مختشين معقدين أذلاء صاغرين، في حالة قلق واضطراب. واللواط مفسدة للنساء؛ إذ ينصرف الرجال عنهن، وقد تلجأ المرأة إلى الزنا لإشباع رغبتها وقد تلجأ إلى السحاق، كما روي أن نساء قوم لوط فعلن ذلك حين انشغل الرجال عنهن بالرجال، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: (إنما حق القول على قوم لوط حين اشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء)^(٢). واللواط جناية على الفطرة السليمة ومفسدة للشباب، حيث ينصرفون عن الزواج الحلال وينغمسون في أحوال تلك الفاحشة، كما يترتب على اللواط قلة النسل بسبب الانصراف عن الزواج، وبذلك تتقوض أركان الأسرة وينفطر عقد المجتمع وتنهار الحضارات، فاللواط عامل كبير من عوامل الفساد وممول ثقيل من معاول الهدم للنفس والمجتمع، وهو سبب أساسي في

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم ٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ١٣٩/١، رقم ٢٥٢.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٤/٢١.

ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم ويأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بينهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم^(١). فالأمراض الجنسية السالفة الذكر عقوبة إلهية للزناة واللواطيين الذين تعدوا حدود الله وانتهكوا محارمه. انتشار اللواط في المجتمعات الكافرة: وما يؤسف له أن اللواط قد انتشر انتشارًا واسعًا في المجتمعات الكافرة، مع كثرة النساء وانتشار البغاء، ففي الدول الغربية قوانين وتشريعات تبيح اللواط وتشجع عليه طالما كان بين بالغين دون إكراه. وفي دائرة المعارف البريطانية^(٢) أن الشواذ جنسيا خرجوا من دائرة السرية إلى العلنية وأصبح لهم متدياتهم - نوادي العرى - وحدائقهم، ومراحيضهم الخاصة بهم، وتعرف الشرطة هذه الأماكن وتقوم على حمايتها ورعايتها. وهناك آلاف الجمعيات في الغرب ترعى شئون الشواذ جنسيًا وتطالب لهم بمزيد من الحقوق، ولقد أصبحوا

انتشار كثير من الأمراض الفتاكة المزمنة كالزهري والسيلان والهريس، ومرض الايدز الذي لم يعرف إلا سنة ١٩٨١م، ومن ذلك الحين وحتى وقتنا هذا لم يعرف له علاج رغم التقدم العلمي الكبير.

١٣. في استئصال قرى قوم لوط إشارة إلى أن المريض بهذا الشذوذ إن لم يتب فلا بدليل عن استئصاله من المجتمع.

١٤. ربط العلماء بين جعل قرى قوم لوط عاليها سافلها ليظمروا في التراب، وبين ضرورة دفن المصابين بالإيدز بعد موتهم، حيث يوصى بحرق الجثة وطمرها في التراب على أعماق بعيدة لأن مرض الإيدز ينتقل عن طريق دم المريض ولعابه ومنه. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: (يا معشر المهاجرين! خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المثونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا،

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم ٤٠١٩، ٢/١٣٣٢.

وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١٣٢١/٢، رقم ٧٩٧٨.

(٢) دائرة المعارف البريطانية ٦/١٢.

قوة لا يستهان بها، وورقة رابحة ناجحة في الانتخابات العامة والرئاسية، ولقد وجدنا كبار الساسة والقادة يخطبون ود الشواذ ويفرقونهم بالوعود إن هم وقفوا بجانبهم في حملاتهم الانتخابية، فإذا حقق هؤلاء الساسة والقادة بغيتهم وفازوا بالمناصب فإنهم يسارعون إلى تحقيق ما وعدوا به من تنازلات للشواذ جنسياً، ولو نظرنا على سبيل المثال للحملات الانتخابية لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية لوجدنا كيف يتبارى المرشحون ويتنافسون على كسب أصوات الشواذ، بل إن نسبة كبيرة من الشواذ تنبأ بمقاعد حساسة ومناصب هامة في الحكومات الغربية بل وفي الجيوش، وفي أمريكا وأوروبا كنائس مخصصة للشواذ يباح فيها للرجل أن يتزوج بالرجل، وللمرأة أن تتزوج من المرأة، بل إن بعض الجامعات في الولايات المتحدة تخصص منحا دراسية للشواذ فقط، ومن هذه الجامعات جامعة سير جورج وليامز، ولا يمكن للطالب أن يحصل على منحة بتلك الجامعات إلا إذا ثبت أنه شاذ جنسياً. وفي إحدى المجلات الصادرة في إنجلترا والخاصة باللوطيين نجد هجوماً متتابعاً على

موقف الكنيسة من الشذوذ ولقد قام أحد الكرادلة بالرد على هذا الهجوم فقال: إن الكنيسة البروتستانتية هي في حالة مخاض الآن، وأنه عما قريب ستعترف الكنيسة بالشذوذ الجنسي وأنه شخصياً يرى أنه أمر عادي مألوف، ولا مانع في نظره من أن يصبح الشاذ قسيساً. وفي اجتماع مجلس الكنائس الإنجليزى وافق المجلس بأغلبية الأصوات على إباحة الشذوذ الجنسي بشرط حدوثه بين بالغين مختارين، وكان كبير الأساقفة في كاتدربي هو الذي قاد الحملة التي تهدف إلى إباحة الشذوذ، ولقد صرح قائلاً: «إنه يشعر بالقلق لما يصيب الشخص المصاب بالشذوذ الجنسي من ظلم القانون، في حين يستطيع أي شخص آخر أن يدمر أسرة ويشردّها بدون عقاب يوقع عليه». فأى منطق هذا وأي عدالة يسعى إليها كبير الأساقفة!! إن كلامه هذا يعنى أنه يجب إباحة كل الجرائم وعدم توقيع العقاب على مرتكبيها طالما أن هناك من يتمكنون من الإفلات بجرائمهم! ولقد ذكرت إحدى الإحصائيات أن نسبة كبيرة من القساوسة في إنجلترا شواذ جنسياً^(١). ومجمل القول فيما

(١) انظر: مجلة المجتمع الكويتية، سنة ١٣ عدد

سبق: أن الزنا واللواط قد انتشر في المجتمعات الغربية المنحلة كانتشار النار في الهشيم وما ذلك إلا بسبب بعدهم وضلالهم عن الحق، وترفعهم وإسرافهم، واستغلالهم التقدم العلمي الهائل والغنى المادي الفاحش في إشباع الشهوات والنزوات. يقول الأستاذ فتحي يكن: «إن انحراف التربية وانعدام الحس الديني، وفساد الأخلاق من شأنها جميعاً أن تهيج الأجواء والمناخات المناسبة للانحراف والشذوذ، وإن الفراغ والترف وتميع مواقف القوانين الوضعية من الجرائم الأخلاقية والجنسية من الأسباب الرئيسية الكامنة وراء ظاهرة الشذوذ الجنسي^(١)».

١٥. الحلال هو الطيب الذي يتلاءم مع الفطرة بينما الحرام هو الخبيث الذي يجافي الفطرة وينافي الذوق وتعافه النفوس السوية وتآباه القلوب السليمة، وأبواب الحلال كثيرة وواسعة وميسورة، والزواج حصن للشباب وعصمة من الانحراف، هذا لوط عليه السلام عرض بناته على قومه عرضاً حقيقياً، ومقصده من

ذلك أن يرغبهم في الحلال الطيب ويصرفهم عن الفاحشة، وأن يرددهم إلى الفطرة السليمة والطبيعة المستقيمة ويبعدهم عن الشذوذ والانحراف، وأن ينقلهم من مستنقعات الرذائل وذنس الفواحش، ويأخذ بأيديهم إلى واحة الطهر والعفاف، والزواج هو الحصن الحصين من جميع الانحرافات الجنسية، فإذا قبلوا وتزوجوا من بنات لوط عليه السلام كان الزواج الحلال الطيب سنة ماضية في سائر القوم وبذلك ينصرف الجميع عن الفاحشة.

١٦. تعاطي المحرمات عدوانٌ وانحرافٌ وجهلٌ وإسرافٌ.

١٧. ذم المرء بالباطل، بل يجدر بالمؤمن ترك المرء ولو كان محققاً.

١٨. أسلوب لوط عليه السلام في دعوة قومه يجلو لنا حكمته وفطنته وأدبه وبلاغته، حيث براعة الاستهلال، والإيجاز والبيان، والبساطة والوضوح، وتقديم الأهم، وحسن التشويق ودقة الوصف، وبلاغة الإنكار والتنفير.

١٩. أثنى الله تعالى على من آمن بلوط عليه السلام ولم يؤمن به إلا أهل بيته ولم يذكر القرآن سوى بناته، ولقد وصف الله أهل بيته بالإسلام والإيمان، وأثنى على شكرهم ووصفهن لوط بالطهر بل

وصف قوم لوط آل بيته بالطهر، وفي جمعهم بين الإيمان والإسلام والطهر والشكر أبلغ رد على مفتريات اليهود في العهد القديم واتهامهم لبنات لوط بأبشع التهم وهن المؤمنات الطاهرات الشاكرات الناجيات. قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْقُورُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨]. وقال تعالى: ﴿فَأَنزَجْنَا مِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٣١-٣٦]. وقال سبحانه: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُو آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَلَهُرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]. وقال عز وجل: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ﴾ [٣٣] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَرٍّ﴾ [٣٤] ﴿نِعْمَةً مِنَّا عِندَنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ [القمر: ٣٣ - ٣٥]. قال الإمام ابن القيم رحمه

الله في كتابه «إغاثة اللفهان»: قد وسم الله سبحانه الشرك والزنى واللواط بالنجاسة والخبث في كتابه، دون سائر الذنوب، وإن كان مشتملاً على ذلك، لكن الذي وقع في القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

٢٠. وقوله تعالى في حق اللوطية: ﴿وَلُوطًا إِتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَاءَ إِنَّهُمْ

كَانُوا قَوْمَ سَوَوْ قَنَسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]. وقالت اللوطية: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَلَهُرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]. فأقروا مع شركهم وكفرهم، أنهم هم الأخبات الأنجاس، وأن لوطاً وآله مطهرون من ذلك باجتناهم له. وقال تعالى في حق الزناة: ﴿لَقَدْ بَيَّنَّاتُ لِّلْحَيِّثِينَ وَٱلْأَخْيَاشِثِينَ﴾ [النور: ٢٦]. وأما نجاسة الشرك فهي نوعان: نجاسة مغلظة، ونجاسة مخففة. فالمغلظة: الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله عز وجل، فإن الله عز وجل لا يغفر أن يشرك به، والمخففة: الشرك الأصغر، كيسير الرياء، والتصنع للمخلوقات والحلف به، وخوفه ورجائه. ثم قال: ونجاسة الزنى واللواط أغلظ من غيرها من النجاسات، من جهة أنها تفسد القلب، وتضعف توحيده جداً. ولهذا أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركاً، فكلما كان الشرك في العبد أغلب، كانت هذه النجاسة والخبث فيه أكثر، وكلما كان أعظم إخلاصاً، كان منها أبعد، كما قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَٱلْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

أحكام متعلقة بالقصة

أولاً: عقوبة اللواط في الشريعة الإسلامية:

اختلف الفقهاء في عقوبة اللوطي، وذلك على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: وهو مذهب الإمام مالك والإمام أحمد وقول للشافعي وهو أن حد اللوطي القتل فاعلاً كان أو مفعولاً، محصناً كان أو غير محصن، وهذا القول مروى عن أبي بكر وعمر وعلي وابن عباس رضي الله عنهم ونقل بعض الحنابلة إجماع الصحابة على ذلك^(١).

واستدل أصحاب هذا الرأي بما يلي:

١- الحديث الذي رواه الخمسة إلا النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول)^(٢).

٢- كما استدل أصحاب هذا المذهب بما روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) انظر: المغني، ابن قدامة ٨/ ١٨٧.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب فيمن عمل عمل قوم لوط، رقم ٤٤٣٨، والترمذي في سننه، كتاب الحدود، باب ما جاء في حد اللوط، رقم ١٤٥٦، ٤٧/ ٤. قال الترمذي: حديث حسن.

وصححه ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٢٩.

فسألهم عن رجل ينكح كما تنكح النساء فكان أشدهم يومئذ قولاً على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: هذا ذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا أمة واحدة صنع الله بها ما قد علمتم، نرى أن نحرقه بالنار، فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد يأمره أن يحرق بالنار من فعل هذا الفعل^(٣).

قال ابن القيم في زاد المعاد: «ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قضى في اللواط بشيء؛ لأن هذا لم يكن معروفاً عند العرب ولم يرفع إليه صلى الله عليه وسلم ولكنه ثبت عنه أنه قال: (اقتلوا الفاعل والمفعول به) رواه أهل السنة الأربعة وإسناده صحيح وقال الترمذي: حديث حسن، وحكم به أبو بكر الصديق وكتب به إلى خالد بن الوليد بعد مشاورة الصحابة وكان على رضي الله عنه أشدهم في ذلك. وقال ابن القصار وشيخنا: أجمعت الصحابة على قتله، وإنما اختلفوا في كيفية قتله، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يرمى من شاهق. وقال على رضي الله عنه: يهدم عليه حائط. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يقتلان بالحجارة. فهذا اتفاق منهم علي قتله وإن اختلفوا في كيفية^(٤).

أقول وورد عن علي كما ذكرنا آنفاً أنه

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الحدود، باب ما جاء في حد اللوطي ٨/ ٢٣٢.

(٤) زاد المعاد ٣/ ٢٩.

أمر بحرق من فعل هذا الفعل، وإنما ذكر الصحابة الكرام هذه الكيفيات المختلفة؛ لأن الله تعالى عذب قوم لوط بصنوف مختلفة من العذاب .

المذهب الثاني: أن اللواط في حكم الزنا، يرمم المحصن ويجلد غير المحصن فاعلا كان أو مفعولا، وهذا هو مذهب الشافعية، وقد استدلوا على مذهبه بالنص والمعقول .

أما النص: فالحديث الذي رواه البيهقي في السنن والطبراني في الكبير عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان، وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان) ^(١) .

وأما المعقول: فلقد قالوا إن الزنا عبارة عن إيلاج فرج في فرج مشتهى طبعاً محرماً شرعاً، والدبر أيضاً فرج لأن القبل إنما سمي فرجاً لما فيه من الانفراج، وهذا المعنى حاصل في الدبر فيكون حكم اللواط كحكم

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الحدود باب ما جاء في اللوطي، ٢٣٣/٨ . قال الحفاظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٥٥/٤ بعد أن عزا للبيهقي: وفيه محمد بن عبد الرحمن القشيري، كذبه أبو حاتم، وأخرجه أبو الفتح الأزدي في الضعفاء، والطبراني في الكبير من وجه آخر عن أبي موسى وفيه بشر بن الفضل البجلي وهو مجهول.

الزنا ^(٢) .

المذهب الثالث: وهو مذهب الأحناف ^(٣): الذين قالوا بأن في اللواط التعزير، إذ أن اللواط غير الزنا، فاللواط يقع بين الرجل والرجل، أما الزنا فهو اسم لوطء الرجل للمرأة التي لا تحل له، والزنا تشتهيه النفس ويميل إليه الطبع، أما اللواط فإن الطباع السليمة والفطرة المستقيمة تأباه وتستعجنه وتستقذره، والزنا أعظم ضرراً لما يترتب عليه من فساد الأنساب .

والذي أرجحه في هذه المسألة أن اللوطي يقتل محصناً كان أو غير محصن، فاعلاً كان أو مفعولاً به، وهذا هو مذهب الإمام مالك وأحمد وقول للشافعي وهو المروي عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث الذي استندوا إليه (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال ابن القيم: حديث صحيح، وقال الترمذي: حديث حسن، وقال الشوكاني معلقاً على روايات الحديث:

وهي بمجموعها تنهض للاحتجاج بها، أما الحديث الذي استدل به الشافعية (إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان وإذا أتت المرأة

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١٣٢/٢٣، آيات الأحكام، السائيس ١١٤/٣، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، الصابوني ٤٣/٢ .

(٣) انظر: بدائع الصنائع، الكاساني ٤٥/٧ .

العذاب بكرهم وثيبهم» (١).

ثانياً: حرمة إتيان النساء في أدبارهن:
قال تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّكَلَّفُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وفي هذه الآية بيان لحرمة إتيان النساء في أدبارهن ؛ لما في ذلك من الأذى والضرر وسبب نزول هذه الآية الكريمة ما ورد عن جابر رضي الله عنه قال: «كانت اليهود تقول: من أتى امرأته في قبلها من دبرها كان الولد أحول فتزلت: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾» (٢).

فإتيان المرأة في دبرها فإنه أمر تنفر منه النفوس وتأباه العقول، وهو مخالف للطبيعة السليمة والفترة المستقيمة، ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أي: موضع حرث، وفي هذا إشارة إلى أن موضع الجماع هو الحرث وهو الفرج؛ لأنه موضع الولد كما أن الأرض موضع الزرع.

فالمراة كالأرض والنطفة كالبذرة والولد كالنبات ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي: كيف شئتم، يباح لكم الاستمتاع بالنساء، وإتيانهن

المرأة فهما زانيتان) فهو حديث ضعيف الإسناد كما ذكرنا في تخريجنا له، وعلى فرض صحته فإنه لا يصرح بأن حكم اللواط هو حكم الزنا، وإنما يفيد التهيب من اللواط وأنه محرم وكبيرة من الكبائر كالزنا. يقول الإمام الشوكاني: «واحتجوا بأن

اللطواط نوع من أنواع الزنا، إيلاج فرج في فرج؛ فيكون اللواط والمملوط به داخلين تحت عموم الأدلة الواردة في الزاني المحصن والبكر، ويؤيد ذلك حديث (إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيتان) وعلى فرض عدم شمول الأدلة المذكورة لهما فهما لاحقان بالزاني بالقياس، ويجب عن ذلك بأن الأدلة الواردة بقتل الفاعل والمفعول به مطلقاً مخصصة لعموم أدلة الزنا الفارقة بين البكر والثيرب على فرض شمولها للوطي ومبطللة للقياس المذكور على فرض عدم الشمول؛ لأنه يصير فاسد الاعتبار كما تقرر في علم الأصول، وما أحق مرتكب هذه الجريمة ومقارف هذه الرذيلة أن يعاقب عقوبة يصير بها عبرة للمعتبرين ويعذب تعذيباً يكسر شهوة الفسقة المتمردين، فحقيق بمن أتى فاحشة قوم ما سبقهم بها من أحد من العالمين أن يصلى من العقوبة بما يكون فى الشدة والشناعة مشابها لعقوبتهم، وقد خسف الله بهم واستأصل بذلك

(١) نيل الأوطار ١٨/٧ بتصرف .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير باب (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)، رقم ٤٥٢٨.

في موضع الحرث مقبلات كن أو مدبرات.
ومن الأضرار الناتجة عن إتيان النساء
في أدبارهن: تهتك الشرج والمستقيم وعدم
التحكم في الغائط، لذلك فإنه معرض
للنزول بصورة لا إرادية، هذا إلى جانب
ما ينتج عن هذا الفعل القبيح من عقد نفسية
للرجل والمرأة ومن تنافر وتباغض بينهما،
بالإضافة إلى الانصراف عن موضع الحرث
كما أنه لا يشبع الرغبة الجنسية للمرأة
والرجل، ويفتح الباب إلى الزنا، وهذا الفعل
القبيح يساعد على نقل الأمراض الجنسية
التي سبق الإشارة إليها^(١).

موضوعات ذات صلة:

إبراهيم عليه السلام، العذاب، الفواحش،
النبوة، النساء

(١) انظر: مع الطب في القرآن الكريم، عبد الحميد
دياب، وأحمد قرقوز ص ٤٧.